## قصة الشهر

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

« قال الخضر لصاحبه : هذا ملك الموت قادم الينا . فاستولى على صاحبه الفزع وقال له : يا نبي الله اني خائف . أدع ربك ان ينقلني الساعة الى الهند .
فدعا الخضر ربه ، فأرسل الله ملكاً حمل صاحب الخضر الى الهند في ساعته .
وتقدم ملك الموت وعلى ملامحه الدهشة الى الخضر ؛ فقال له الخضر : ماذا يدهشك ؟
قال ملك الموت : يدهشني اني رأيت صاحبك هنا ؛ وفي لوح الأزل مكتوب اني اقبض روحه اليوم في الهند » .
« قصص الانبياء »

عثر عارف على المفكرة العتيقة في اسفل صندوق مملوء خليطاً من اوراق الصحف البالية والكتب المدرسية التي لم تعد تدرّس في المناهج ووصولات الضرائب التي دفعها المرحوم ابوه عن ممتلكاته في المدينة والقرية . ولعل هذه ليست اول مرة تعثر فيها يد عارف بالمفكرة العتيقة وهو يبحث في ذلك الصندوق . الا انه في هذه المرة لم يلقها في قعره في لا مبالاة كما هي عادته بل سوّلت له نفسه التطلع فيها ، فوضعها جانباً ثم عاد اليها بعد ما فرغ من البحث عن طلبته بين اكداس الورق. وخيّل الى عارف وهو يأخذ المفكرة بيده ويتطلع الى غلافها الفضي ويقرأ اسمها المحفور عليها والذي تلمع عليه نثرات من غبار ذهبي كان مكتوباً به ذلك الاسم ، خيّل اليه انه يرجع مع هذه المفكرة ثمانية عشر عاماً مضت قبل اليوم ، الى عام ١٩٢٧ ، وهو العام المرقوم على غلافها الحائل اللون . اين كان في عام ١٩٢٧ ، وكيف كان ؟! وانطلقت من صدره دون ان يريدها ، زفرة خافتة لم يلبث ان ابتسم لها حين فطن الى نفسه . ثم اخذ في هدوء حالم يتصفح المفكرة ويقرأ ما خطت يده في اوراقها . قرأ برنامج الدروس الاسبوعية لعامه الدراسي ذاك . وقرأ الحاجات التي كان يكتبها في يومها ، كلّ مرة يقصد فيها بلدته . أو قرية اهله في عطلة او عيد . وقرأ اسماء الافلام التي كان يحضرها في دور السينما مثبتة باسماء ممثليها وتعليقاته عليها في القصة والاخراج والتمثيل . كل ما كان يملأ دنياه الصغيرة حينذاك كان مذكوراً في صفحات تلك المفكرة . ولما وصل في تقليبه الى يوم الخميس الخامس من ايار ، وجد انه قد كتب في صفحة ذلك اليوم جملة واحدة :

**سأموت في عام ١٩٤٥ ، إن شاء الله !**

وجمدت نظرة عارف على هذه الجملة الغريبة كأن لم يجل في خاطره انه كتبها بخطه في يوم من الايام . ثم انطلقت من فمه ضحكة وهو يذكر عالم الأخيلة والرؤى الغامضة الذي كان يعيش فيه ، بأفكاره منذ ثمانية عشر عاماً ، ايام كان فتى مراهقاً يتلقى دروسه الثانوية . ولم يلبث ان أحس من نفسه انه سئم تقليب صفحات تلك المفكرة القديمة، فأطبقها ثم القاها في الصندوق العتيق فوق اكداس الورق البالي والكتب المدرسية ووصولات الضرائب .

وكانت الساعة الحادية عشرة مساء حين انثنى عارف الى فراشه يتهيأ للنوم بعد ان اغلق الصندوق العتيق وأعاده الى مكانه من زاوية الغرفة. ولما تقدم ليطفىء النور بفمه، وهو نور مصباح بترولي ، وقعت عينه على الروزنامة المعلقة على الحائط فقرأ فيها تاريخ اليوم الذي هو فيه والذي يكاد ينقضي : ٣٠ كانون

الاول ١٩٤٥ . وجمد امام المصباح فلم يطفئه . وخيل اليه ان الرقم ١٩٤٥ اصبح في هذه اللحظة ذا معنى يختلف عنه في كل اللحظات من كل الايام السالفة حين كان يراه في كل صباح ومساء مكتوباً على صفحات هذه الروزنامة : « ١٩٤٥ » !... ومن غير ان يدير رأسه الى حيث كان الصندوق العتيق ، احس انه يرى المفكرة البالية في ذلك الصندوق ، وانه يقرأ ما خطته يده منذ ثمانية عشر عاماً في صفحة الخامس من ايار :

**سأموت في عام ١٩٤٥ ، إن شاء الله !**

— ١٩٤٥ ... ١٩٤٥ ... — هذا العام هو ١٩٤٥ !

هكذا قال عارف لنفسه ، غير انه هز رأسه بعنف كأنه أخجله من ذاته ان تتعلق افكاره بهذه الكلمة التي تخلفت من ترهات صباه . ونفخ على المصباح بفمه فساد الظلام الغرفة ، واندس في فراشه .

اندس عارف في فراشه ولكنه لم ينم . ولم يكن من عادته ان ينام سريعاً اذا ما اندس في فراشه بل لا بد له في كل ليلة من جولة واسعة تجولها افكاره قبل ان تتعب ، مثلما تعب جسمه من جولات النهار ، فتسلمه الى النوم . ولم يكن عارف يضيق بهذه الجولة المحتومة عليه ، بل لعله كان يهفو اليها ويعدّها من اطيب ما يمر عليه . ففيها كان يجتر لذائذ يومه الفائت ويتهيأ لأعمال غده المقبل ، ويمسح بالاعذار على الجروح التي خلّفتها المنغصات في نفسه ويُتم بالأحلام ما عجز الواقع عن اتمامه من رغباته . وكان يحس بشوق ، كشوق مدمن الخمرة اليها ، الى الخدر اللذيذ الذي يتملكه كلما عبرت نفسه البرزخ الذي يصل اليقظة بالنوم . ففي هذا المجاز الضيق كان عارف يشعر بأن احلامه اضحت حقائق وان الحقائق صارت في نفسه احلاماً . فكان يأخذ لنفسه من هذه الحقائق ، او من هذه الاحلام ، ما يريد ، ويدع منها ما لا يريد . وقلّ ان عمرت في حياته فكرة منغصة الى ابعد من هذا البرزخ . عنده كان يتلاشى كل لون قاتم في الضباب البنفسجي لأحلام ما قبل النوم ؛ وبعده كانت تنطلق روحه حرة من كل قيد ، صافية من كل شائبة في ملكوت الرقاد العريض .

وفي هذه الليلة ، في الساعة الحادية عشرة من هذه الليلة ، كان عارف وهو يندس في فراشه يتهيأ لجولة افكاره المعهودة . فتمطى في ضجعته اولاً ثم أحكم وضع الغطاء على جسمه وقلّب رأسه على الوسادة ذات اليمين وذات الشمال . ولما اغمض عينيه ليرى من اين تبدأ افكاره جولتها احسّ بأن رقماً مؤلفاً من اعداد اربعة يثب امام عينيه المغمضتين : ١٩٤٥ ! انه الرقم الذي رآه على الروزنامة قبل ان يطفىء النور ، وهو الرقم نفسه الذي كتبه في المفكرة قبل ثمانية عشر عاماً !... وأحسّ بأن هذا الرقم البغيض يريد ان يفسد عليه ليلته . اي جنون اعتراه في ذلك اليوم من ايام ايار ١٩٢٧ لكي يسجل هذه السخافة في مفكرته ؟ اهي سخافة ام نبوءة ؟ وأحس عارف بأن يداً باردة تمتد من الماضي البعيد الى قلبه فتعصره . وأحس كذلك ان افكاره لم تعد تطاوعه في التطواف بالعوالم البهيجة التي كانت تطوف بها كل ليلة ، بل انها اخذت تلازم هذا الرقم المشؤوم ، ١٩٤٥ ، وهذه الجملة الكئيبة في تلك الصفحة من صفحات مفكرته العتيقة .

انه كان منذ ثمانية عشر عاماً فتى نحيلاً ، خاوي الجسم ، قليل الثقة بنفسه ، يخفي رأسه في الصف وراء رفاقه حذراً من ان تقع عين المعلم عليه فيفطن الى وجوده . كان فاشلاً في العلوم فكان يهرب منها الى القصص ، والى ما غمض وامتلأ بالرموز من القصص . كم خلبت لبه حكايات الجن واستأثرت بأوقاته كتب السحر وشعوذات الدراويش . لم يكن من الغريب في تلك الايام ان تجري يده على الورق بجملة مثل هذه الجملة يوهم نفسه فيها انه ينفذ الى ما وراء حجب الغيب او يتكلم باسم القدر ، ما أتفهها من فكرة وما كان اسخفه صبياً في ذلك الحين !. ولكنه كان في انطوائه على ذاته كثير الدراسة لبدواتها كثير الولوع بالتعمق في معرفتها . كان صارماً في معاملته لنفسه ، يروضها على تحمل المشاق ويحملها على التقشف ، يريد ان يطهرها من اذران لم تلحقها بعد . كان لدن العود ولكنه كان ماضي العزيمة . أتراه ينسى كيف كان يتحدث الناس بطيب غرسه وبالأمل المعقود عليه ، بل وبالنور المتلألىء في وجهه ؟ ام تراه ينسى كيف كان هو نفسه يحس بصفاء روحه حتى ليخيل اليه ان له نظرة ترى مالا يُرى ؟ لعل يده لم تجر على ورقة المفكرة بهذه الجملة يومذاك بل هي يد القدر التي خطتها باصابعه ! ان نفسه اليوم أمست مظلمة وروحه أثقلتها اطماع الدنيا الزائلة وادران الشهوات ؛ فلا عجب ان سخرت من بدوات ذلك الصبي النقي القلب وعدت نبوءاته ترهات .

**سأموت عام ١٩٤٥ ، ان شاء الله !**

وانتفض عارف اذ احس بان فراشه قد غار به فجأة . ولكنه

فتح عينيه فألفى الظلام يسود الغرفة بينما كانت افكاره لا تهدأ في رأسه دائرة حول هذه الجملة التي قرأها في المفكرة . شعر بأن يداً لزجة للرعب تتسلل بين ضلوعـــه وتتلمس فؤاده . فأغمض عينيه وهو يُطمئن نفسه بان النبوءة ، اذا كانت نبوءة كاذبة ، فان عام ١٩٤٥ يلفظ انفاسه الاخيرة بينما هو ، عارف ، يتمتع بالشباب الفياض والصحة الوافرة والحياة المترعة نجاحاً . الا ان نسمة من افكاره هبت عليه حاملة ورقة الروزنامة التي رآهـــا عندما أطفأ النور قبل دقائق ! وكان مكتوباً عليها ٣٠ كانون الاول ١٩٤٥ . لا يزال إذن من عمر هذا العام يوم وليـــلة يتسعان لكل حادث . فشعر حينئذ بان اليد اللزجة تعلق فؤاده بين انامله . وداخله في هذه اللحظة الرعب ، الرعب الصحيح . خيل اليه انه لم يقرأ في المفكرة العتيقة انابيش صبي في احدى مراحل دراسته ولا نبوءة فتى ملأت عقله التهاويل الصوفية ، بل حكماً مبرماً النجاة من قضائه برق خلب او امل يكاد يكون سراباً . وبعد ان كان يحاور نفسه في قيمة هذا الحكم من الوجود اخذ يبحث عن سبيل التفلت منه . أترى القدر قد أحكم الحلقة حوله ام ترك له منها مجالاً للهرب ؟

وما كاد عارف يدري ، وقد بلغت به افكاره هذا المبلغ ، أهو في يقظة ام في حلم ؟ لقد حمد ربه ان فاجأته الايام الاخيرة من عام ١٩٤٥ وهو في هذه البلدة الصغيرة . لو كان في المدينة لما أمن ان يتوسل القدر الى حياته بسيارة هادرة او تيار صاعق او ضربة طائشة . اما في هذه البلدة حيث الناس هادئون والحياة تسيل في مساربها برفق فمن اين يتسلل الموت الى عمره ؟ أتراه إذا لزم بيته هذا اليوم وتلك الليلة قادراً على النجاة من ربقة النبوءة ؟ ام تراها ستلحقه متوسلة اليه بتهديد ابي سليمان ، خصمه في الارض التي تجاور ارضه ، له ؛ او بغيرة آل سعدى حين يبلغهم امره معها ؛ او بنوبة مفاجئة من نوبات الزائدة التي طالما حذره منها طبيب البلدة الصغيرة الدكتور شمس الدين ؟ إن

هذه هي نقاط الضعف الثلاث التي بقيت للقدر في حياة عارف . . .

ماذا لو سعى منذ الغد لأن يقطع الطريق على القدر فيها ؟

وانحدر عارف بهذا العزم الى وهدة النوم انحداراً .

**قصة ابي سليمان**

ان الخلاف الذي كان بيني وبين عارف ، رحمه الله ، لم يكن أهلاً لأن أحمل له ضغينة في قلبي او ان يملأ صدره غيظاً مني ، ولكن قاتل الله الدنيا يا بني . تريد الصحيح ؟ علم الله اني لم اكن واثقاً ايٌّ منا كان الحق الى جانبه في ذلك الخلاف . كانت القضية بيننا قضية حد بين ارضين ؛ وكان خلافاً يمكن ان نحله بتحكيم احد جيراننا . ولكنني ركبت رأسي وركب عارف رأسه . واستطاع وهو ابن سالم آغا ، ان يجيش ضدي المحامين ويؤلب عليّ الدرك ويقنع القضاة ففاز بالأرض المختلف عليها وهي لا تعدو في حقيقتها بضع خطوات من ارض استُنفد خصبها واصبحت لا تُزرع الا عاماً في كل ثلاثة اعوام . لقد اطار حكم المحكمة صوابي ونسيت ما بيني وبين المرحوم سالم آغا من سالف الود وحقوق الصحبة والجيرة ، فانطلق لساني عـــلى باب المحكمة بما لست اتذكره أو بما لا اريد ان اتذكره من قارص الكلم . هل تصدق اني توعدت عارفاً المسكين بالقتل ؟ عارفاً الذي كنت اعدّه ابناً لي مثل سليمان او اخوته الصغار ؟ ولكن لعنة الله عـــلى الشيطان ! انه نفخ الغرور في نفسي وزين لي اني ، ما دمت أباً لخمسة فتيان اشداء ، قادر على ان اتوعد بالشر فتىً وحيداً وان افعل ذلك الشر . كم عدت على نفسي ، بيني وبين نفسي ، باللائمة كلما ذكرت اقوالي تلك على باب المحكمة ؟ اما بين الناس فقد كانت الكبرياء تؤجج حقدي وتحول بيني وبين ان أوطن النفس على التنازل عن تلك الخطوات من الارض وأعد امرها مقضياً . الا ان لله رجالاً يا بني ، وما اشك ان عارفاً من اولئك الرجال ، رجال الله . والا فكيف تفسر ان يجيئني عارف قبل يومين من

حاول أجله ليقول لي ببساطة وتواضع: أخطأت في حقك يا عم، وانا اريدك ان تصفح عني، وهذه وثيقة التنازل لك عن الارض!

انك لم تر عارفاً الا وهو في عمره هذا وحين سكن المدينة لا يجيء بلدتنا الصغيرة ولا أرضه هذه بجوارها الا مرة او مرتين في العام. ولكني اذكره صبياً حين كنا نعده ولياً من اولياء الله. دعك من كلام الناس عنه في هذه الايام، فلم ينج الأنبياء من ألسنة الناس حينما كانت الدنيا دنيا. كان حمامة الجامع حين كان صبياً. وما اظن الله ينسى عبداً سجد له ما سجد عارف في صباه وأول فتوته. نعم لقد عرف الدنيا وسافر الى بلاد الاجانب، ولكن القلوب صناديق مقفلة يا بني. وإن انس لا انس حينما جاء إليّ جيئته الاخيرة والريح تصفر والثلج يغطي الارض. لقد نبحته كلاب الدار طويلاً قبل ان يفتح له ابني سعيد الباب. ولا بد ان دهشة سعيد كانت عظيمة حين رآه واقفاً عند سياج الدار لابساً عباءته وفروته فوق ثيابه المدنية وبيده مقود حصانه الاشهب وهو يسأل عني. في الحق لم يملك ولدي سعيد الا ان يفتح لعارف الباب على مصراعيه ويدعوه للدخول متجاهلاً، في وقته الحاضر، ان النقمة على سعيد كانت حديث المائدة في بيتنا ستة شهور كاملة. اما انا فقد وجدتني ملجم اللسان. ما الذي استطيعه حيال رجل يطأ ارض داري ولو كان ألد اعدائي؟ رحبت به وسألته عن حاله وأظهرت له عجبي من مجيئه الينا فارساً، ألم يصطحب معه في هذه المرة سيارته من المدينة؟ فابتسم. ولا بد لي من القول ان ابتسامته كانت غريبة فيها اشياء من الحياء او من الخوف او من الحزن، لا ادري. ابتسم وهو يقول ان الفرس في مثل هذه الطرق السيئة التعبيد وفي هذا الثلج الذي يستر المعالم اسلم من السيارة. ولم اجرؤ على سؤاله ما الذي ساقه الى داري وبيننا الذي بيننا. كما انني لم اجد حديثاً اطارحه اياه دون ان اخشى ان يعرج بنا على خلافنا حول الحدود. وبماذا يتحدث فلاح مثلي الى ملاك مثله في غير الارض والتربة والزرع؟ فلفّنا ونحن حول النار المشتعلة في المدفئة سكوت طويل لم يلبث ان مزّقه هو فجأة حين اخرج من جيبه ورقة ناولنيها وهو يقول: هذه وثيقة التنازل، تنازلي عن الارض يا عم!

لك أن تتصور دهشتي حين قدم إليّ عارف تلك الورقة، وأن تتصور كذلك الحرج الذي وقعت فيه. إنّ الأرض كما قلت لم تكن ذات قيمة كبيرة ولكن النزاع وعواطف الشر التي حركها في قلوبنا هي التي جعلت لتلك الخطوات من الأرض المجدبة قيمتها. وهذا عارف خصمي، عارف ابن جاري وأخي سالم آغا، يلقي بكرم أخلاقه الماء على نار ذلك الشر. لقد حلفت ألف يمين إني لا أقبلها منه، وإني قد سامحته بها وإني منذ الساعة قد نسيت كل خلاف بيننا ولكنه كان من الاصرار بحيث لم أستطع غير القبول بما عرضه عليّ وهو يقنعني بأني بذلك القبول سدي اليه يداً لا يخطر ببالي كم هي ثمينة. ورأيتني أتضاءل امام هذا الشاب الذي هو في عمر ابنائي والذي فضلني مرتين أبتنازله لي عن الأرض وبزيارته لي في بيتي. ولما شرب القهوة وهمّ بالخروج عجزت عن احتجازه حتى المساء ليتناول العشاء. قلت له إنّ البرد قارس والليل مقبل، فقال إن هذا هو الذي يدعوه إلى الاسراع فان أمامه رحلة قصيرة الى بيته القروي الذي يقوم في العدوة الثانية من الوادي، يهمه أن يرجع بعدها إلى داره في البلدة في أول الليل. ولما قلت له إن باستطاعته زيارة بيته غداً قال لي وهو يمتطي حصانه ويلف كوفيته على رأسه:

— ان الليلة آخر السنة يا أبا سليمان ويهمني أن اصفي حساباتي قبل حلول الأجل.

وابتعد عني على حصانه. وكان أفق ذلك الأصيل أغبر والغيوم الرمادية التي تحجب السماء توحي بأن الثلج سيتساقط في هذه الليلة اكثر من تساقطه في الليلة الماضية. وبينما كان البخار المندفع من خيشومي حصان عارف في ذلك الجو البارد يتلاشى في عيني شيئاً فشيئاً كانت جملته الاخيرة لاتزال ترن في أذني. لقد كان يهمه أن يصفي حساباته قبل حلول الأجل! وما درى ذلك المسكين، أو لعله كان دارياً، أنّ الأجل لم يكن أجل العام بل كان أجله هو، بذاته...

## قصة سُعدى

لا أدري كيف حدث هذا. ولكن «هذا» حدث حقاً. كنت أظنه جاء بعد قطيعة ثلاثة أشهر يسخر مني فاذا بي أدري بعد ساعات قليلة أن الدنيا كانت تسخر منه ومني على السواء.

هل كان كل ما بيننا من خطأ عارف؟ لو ظل حياً للعنته في كل صباح بعد أن أكون حلمت بذراعيه القويتين تلفانني كل المساء. آه يا زهرة! لقد كانت لعارف داره في البلدة الصغيرة يسكنها في الشتاء؛ أما في شهور الدفء فان هذا الكوخ الصغير الذي ترينه بجوار دارنا هو مأواه. منه كان يشرف على

أملاكه هنا وفي العدوة الثانية من الوادي . وفيه كنا نلتقي في عشيات الربيع حينما تضحك النجوم في قبة السماء، وفي ظهائر الصيف عندما تقفر الحقول وينصرف الناس الى القيلولة في ظلال البيادر . إنه ابن سالم آغا ، وليس أبوه خيراً من ابي ولكنه تعلّم في المدينة الكبيرة بينما وقفت في تعليمي عند مدرسة بلدتنا هذه ، ولما ماتت أمي أبى والدي إلا سكنى دارنا هذه وسط الحقول . أقول لك الحق ؟ لقد كنت في كل صباح أتشاغل بألف شاغل حتى تقع عين عارف عليّ عندما يخرج من كوخه . لقد كنت أحلم بأن يقع في حبي فوقعت أنا في هواه. الحب يا زهرة هو كل حياتنا ، أما الرجال فان نار الحب لا تقوى إلا على أن تلوّح قلوبهم تلويحاً بينما تذوب قلوبنا فيها ذوباناً .

وقعت في هواه يا زهرة وتسللت إلى لقائه تحت شجرة التوت في صحن داره في الليالي التي لا قمر فيها في الربيع والصيف . لم يكن ذلك صعباً ، ولكنه كان مخيفاً . ففي كل ساعة كان ممكناً أن يعود أخي وحيد ، وهو دوماً متنكب بندقيته ، إلى الدار فلا يجدني فيها . ولكن صدقيني أن ليس أحلى من لقاء الحبيب على خوفٍ ووجل . تذوب عندها الروح في القبلة ويعود العناق لا مجرد لذة ، بل الحياة كلها مسكوبة في نشوة لحظة من الزمن . وهذا الذي كان يعقل لساني ويمسح من فكري كل ما كنت أريد قوله لعارف . حين كنت أخلو لنفسي كنت أحدثها بأني تماديت مع عارف إلى أقصى ما يمكنني أن أتمادى فيه وأني في هذا المساء سأسأله متى يكون زواجنا . ولكن شجرة التوت كان لها عليّ فعل السحر فما كان لساني ليستطيع تحتها ، حينما يلفني وعارفاً ظلها ، أن يدور بما كنت أريد قوله . كان قلبي وحده الذي يتكلم طارقاً ضلوعي في نشوة ويد حبيبي تمر على شعري وشفتاه الملتهبتان تتمرغان على خدّي. أشعر الآن كأني أقترف خطيئة حين أتذكر لذائذ تلك الليالي وأتذكر كم ترددت في الاحجام عن التورط فيها . ولكني لن استطيع اقناع نفسي باني نادمة على كل ذلك . بل انا نادمة حقاً على ما اقدمت عليه في ذات مرة حين سألت عارفاً وكان يطوق منكبي بذراعه ويجيل اصابعه الطويلة حول نحري ، الى اين ستنتهي علاقتنا ... لقد أطلقت بذلك السؤال العاصفة على كوخ حبنا الشاعري فلم تبق منه الا الحطام. كانت كلمة منه وكلمة مني ، وقول منه بأني انا التي دعوته الى حبي وقول مني بأنه هو الذي اغراني ، وكانت منازعة تمزق لها ظل شجرة التوت وبكت منها اغصانها الكثة الاوراق، وانثنيت منها محمرة العينين وانا اصيح به ان اخي سيعلم ، وان اخي لم تنله مفاسد المدن فتغريه بأعراض جاراته ، وانه اقوى اهل السهل قلباً واحدّهم عصباً واسدّهم بالبندقية مرمىً !

وأقبل الخريف بعد ذلك ، خريف العام وخريف قلبي . وظلت الكبرياء ترفع رأسي اياماً كثيرة ولكن الهوى كان اقوى فأحنيت رأسي وانما بعد ان حل الشتاء وغادر عارف كوخه. لكم بكيت وانحدرت في الليل البارد اتحسس سياج الكوخ بانامليّ وأتطلع الى بقايا الاوراق على اغصان شجرة التوت. ولكم ذكرت نزاعي مع عارف وتهديدي له بأخي فعضضت كفي من الندم . ما الذي جنيته من هذا ؟ أتراه يعود بعد ان جرحت ذات نفسه بذلك التهديد ؟ ما أظنه بعد ذلك يعود .

ولكنه عاد في ذات مساء . كان الثلج يكسو الارض في هذا الشتاء الذي ما مرّ علينا مثل برده قط. ففتحت الباب وانا اظن الذي وقف يخبط الارض بقدميه نافضاً عنها وعن ثيابه هباء

## مسابقة « الآداب » للقصة

تقيم مجلة « الآداب » مسابقة للقصة يحق لجميع ادباء البلاد العربية ان يشتركوا فيها بالشروط التالية :

**١) ان تكون القصة موضوعة غير مترجمة ولا مقتبسة ولا منشورة .**

**٢) ان تعالج موضوعاً يهمّ الجماعات العربية او الفرد العربي .**

**٣) ان تكتب كلّها باللغة العربية الفصحى .**

**٤) الاّ تتجاوز ثماني صفحات من «الآداب».**

اما الجوائز فثلاث :

الاولى : ٣٠٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها .

الثانية : ١٥٠ « « « «

الثالثة : ٥٠ « « « «

تقبل القصص حتى اول شهر آب ( اغسطس ) من العام الحالي ١٩٥٣ .

وستتألف لجنة محكمة تعلن اسماء اعضائها فيما بعد . اما القصص الثلاث الفائزة فتنشر ابتداء من عدد تشرين الاول ( اكتوبر ) من «الآداب .»

الثلج هو اخي، فاذا به هو. كان عارفاً بعينه قد ربط حصانه الاشهب في مربط خيولنا ووقف بباب المضافة باحثاً عن ابي وهو يضيح بصوت أبح : اين انت يا أبا وحيد !

تصوري ماذا مر بي حين رأيته على قيد ذراع مني وانا التي حلمت به خمسين ليلة متتالية منذ يوم فراقه . لم يكن أبي ولا اخي في البيت بل كنت وحدي فلم املك نفسي ان تعلقت بعنقه في غبش المساء وانا ادفن وجهي في طيات فروته التي ارتداها فوق ثيابه المدنية . وشعرت انه كان يحاول دفعي عنه ولكنني تشبثت به وانا لا اصدق انه حقاً قريب مني وانا وحدنا في منزل قفر إلا منا في هذا المساء الساكن وفي هذه الطبيعة الصامتة . وأخذت بيده ليتبعني فلم يمانع حتى دخلت به الى غرفتي .

قال لي : سعدى ، اتدرين ما الذي جاء بي ؟

قلتُ : لعلك رأيتني في الحلم اناديك .

قال : اتيت لأسأل اباكِ ان يقبلني صهراً له . أتظنين ان الوقت لم يفت ؟

فشعرت بالفرحة تأخذ عليّ جوارحي فلا استطيع الكلام. ونفرت الدموع من عيني وانا أضع رأسي على قلب عارف. اما هو فقد سمعته يقول :

— اسمع صوتاً يا سعدى !

فأصخت السمع فخيل إليّ اني اسمع وقع اقدام اخي في غرفة الضيافة . حينئذ تسلل اليّ شعور مفاجيء بالخوف لم يدر لي بخلد قبل تلك اللحظة ، وهمست :

— اسرع بالله عليك لئلا يجدك اخي هنا.

وعلى ضوء ذبالة المصباح الخافتة رأيت تعبيراً من الاسى

ومن الاستسلام ، وما اظنه من الخوف، يرتسم على وجه حبيبي وهو يقول :

— هذا الذي قدرته يا سعدى . كيف اتيتُ الى غرفتك ؟

قلت له : تسلل بهدوء فان داخل الدار مظلم ولن يفكر وحيد بالمجيء الى هنا .

ووضعتُ يدي على قلبي وانا أراه يتسلل من باب المضافة الى حيث كان حصانه مربوطاً . ولم يفطن اخي الى ان في الدار غريباً الا بعد ان تناهى الى سمعه وقع حوافر حصان عارف وهو يعدو على الدرب الذي غطى الثلج على معالمه. حينئذ أطل برأسه وصاح بصوته العريض :

— سعدى !

فأقبلت على ندائه وقلبي يركض بين ضلوعي . وحمدت ربي على الظلمة التي كانت تحجب عن نظره المشاعر التي كانت ملامحي تنم عنها . وكأنما رابه سكوتي فصاح بي وانا اكاد أرى عينيه تقدحان بالشرر :

— من هذا الذي خرج من هنا يعدو على ظهر فرسه ؟

ولست ادري الآن كيف أجبته حينـــذاك وانا اتصنع البراءة وأضفي على كلماتي لهجة الغضب الحيّ :

— انت هنا ؟ لم اكن اظن انك عدت . انه جارنا المغرور عارف بن سالم آغا .

— المغرور ؟ ماذا كان يفعل هنا ؟

— جاء يبحث عن ابي . لم يستح ان يواجهني بما يريده ... قال انه جاء يخطبني اليكم فسببته وطردته . وأحسبه لن يرينا وجهه بعد الآن .

فسكت اخي برهة كأنما لم يكن يخطر له ما قصصته عليه ببال .ثم انطلق يقهقه بصوت عال وقال:

— لهذا سميته المغرور اذن ؟ مسكين عارف لا بدّ انه خاض في بحر من شتائمك . سآتي به اليك حالاً .

وزفرت ارتياحاً حين تقبل اخي روايتي دون ارتياب.ولم يخطر ببالي انه سيلحق بعارف تواً. ولكني رأيته يهرع الى المربط فيمتطي جواده ويهمزه مسرعاً وراء عارف . وهنا ملأت الغصة حلقي ؛ ترى أيكون عارف من الذكاء بحيث لا يثير ريبة اخي في لقائنا هذا المساء ؟! وظللت تلك الليلة اغلي على نار من القلق مترقبة ان اعرف ماذا دار بين اخي وحبيبي. ظلت تلك الليلة اترقب لأن اخي لم يعد حتى الصباح. حينئذ علمت بأن ما ترقبته كان أسوأ من كل ما توقعته ، وان عارفاً حبيبي الذي جاء يخطبني ، قد أضحى جثة هامدة ...

## قصة الدكتور شمس الدين

سأفضي اليك بسرّ لو علمت نقابة الاطباء اني افشيته لأصدرت قراراً بحرماني من ممارسة المهنة ثلاثة أعوام متتالية . ليس الطب علماً وانما هو فن من الشعوذة وضرب من الخداع النفسي. ونحن الاطباء ادرى الناس بضآلة ما نعلمه من خوافي الحياة واسرار الموت. فاذا قيل لك ان هذا طبيب كثير العلم فذلك يعني انه كثير العلم بجهله . ولكن ما العمل ؟ ان واحدنا لا يقف عـــلى هذه الحقيقة الا بعد ان يكون افنى عمره في المدارس والجامعات وتلقى من الحياة اقسى لطماتها ، والنكوص على العقبين في هذه الحال امر مستحيل ، فلا يبقى له الا ان يستمر في تمثيل المهزلة الى خاتمتها . فاذا كنت تحسب اني حين اصف للمريض دواء ، واثق باني اسيطر على سير المرض في جسمه فأنت واهم . إن كل ما افعله اني ألهي المريض او ألهي أهله بشيء مـا ، وانتظر مثلهم تفاعل الجسم الآدمي امام عوامل الداء . وقد يكون مريضي مصاباً بزكام بسيط، ولكني لا اغفل ابداً حـــين أتولى فحصه ان اضع بين حاجبيّ عقـدة ترتسم في اذهان اهـله الذين تركزت عيونهم عليّ في تلك اللحظة . فان مات بعدئذ فاني لا اعدم من بينهم شاهداً يقول : « لقد كانت وقعته ، رحمـه إلله ، خطرة من يومها الاول ، عرفت ذلك من العقدة التي ارتسمت بين حاجبي الطبيب وهو يفحصه ، يا له من طبيب قدير... » في الواقع اني قدير، ليس في الطب وانما في دراسة نفوس النـاس وفي تدبير معاشي بعد ذلك !

تقول كتب الطب ويظن الناس تبعاً لها ان المرض هو الذي يسبب الموت . لا تُصدق هذا ابداً ، بل ثق معي ان العكس هو الصحيح : الموت هو علة المرض . هذا رجل من اصحابك يجب ان تنتهي حياته ، انك لو استطعت ان ترى ما لا يرى من عوامل الوجود التي تتفاعل حول هذا الرجل لأبصرت الشباك تلقى عليه من كل جانب لتجذبه الى هوة المنيـة . فاذا أُصيب بعارض بسيط واستشرت الطبيب في امره فان الطبيب يفرك كفيه امامك بلطف ويقول لك انها إصابة خفيفة لا تلبث ان تزول . إلا ان صاحبك يموت سريعاً امام عينيك فيهز الطبيب حينذاك كتفيه لك ولا يملك الا ان يقول بان ميتة صاحبك كانت غير قانونية لأن كتب الطب لا تجيزها . ولكن صاحبك مات

مع ذلك ، لا لأن المرض قد قضى عليه بل لانه لا بد من موته. كل الناس يموتون هكذا ، وهكذا مات صديقنا عارف الذي نفضنا منذ ايام قليلة أيدينا من تراب قبره .

مسكين عارف ! قتله مرض لم يصب به . كانت زائدتـــه الدودية على غير ما يرام فكنت أحذره دوماً منها ، امـا هو فكان يضحك من تحذيري ويقول : ما دامت « زائدة » فلست أخشاها . لا شيء يقتل غير النقص يا دكتور ! الا ان تهكمه لم ينجه من تلك الزائدة . تريد الصحيح ؟ اني لا اعرف اين اضع هذه الزائدة من حكاية موته . فاذا كان عارف قد مات لأنه لم يصب بالزائدة افلا نستطيع القول بان الزائدة هي التي قتلته ؟ اني اشعر حين أفكر في امره بما يشعر به الثور الدائر بالغراف مغمض العينين ، اذا كان ذلك الثور يشعر بشيء ما .

لقد مرّ عليّ عارف في صباح ذلك اليوم وهو كعهدي بـه صحيح الجسم قوي البنية، وكان يبتسم في هدوء كعادته، الا اني توهمت ببعض القلق الحزين في نظراتـه . ومن دون ان يتكلم دخل الى غرفة عملي ونضا عنه ثيابه ثم قال لي وابتسامته الهادئة على شفتيه :

— طمني عن الزائدة يا دكتور ..

فلم املك الا ان اضحك ، وظننته قد احسّ باعراض ثورتها في الليلة الفائتة . ولكن حرارته كانت طبيعية وكان نبضه هادئاً وكان لسانه نظيفاً . اما الألم الذي كنت اثيره فيـه كل مرة اضغط فيها نقطة الزائدة من البطن فقد بدا لي انه لا يزيـد على مضضٍ خفيف لا يكاد هو يحس به ، فربتّ على صدره بكفي وانا اقول له :

— حسن منك ان تترك المكابرة وتهتم بزائدتك هذا الاهتمام، على اني اراها الآن على احسن حال . ما الذي جعلك تنتبه اليها اليوم ؟

فلم يجب على سؤالي مباشرة بل قال في جد :

— هل تظنها تكفيني شرها حتى حلول العام الجديد ؟

فضحكت وقلت :

— غداً يبدأ العام الجديد . اذن هذا هو الذي أتى بك إلي؟ يجدر بك ان تشكر زائدتك أن عاشت معـــك العام الفائت بسلام . وما دمت في بلدتنا الصغيرة هـذه حيث لا سهر ولا عربدة ، وما دمت لا تنوي التزحلق على الثلج او التزلج عـلى الجليد فأنا اضمن لك انها ستدخل معك العام الجديد في وفاق .

فضحك ضحكة مغتصبة وخرج وهو يشد على يدي ويواعدني الى الغد .

ولكني رأيته في اليوم ذاته ، في الساعات الاخيرة من ذلك اليوم . كانت زيارته لي في آخر يوم من السنة الفائتـة . وفي مساء ذلك اليوم كنت اقضي سهرتي لدى صديقنـا سامي الذي كان يحتفل بعيد رأس السنة وعيد ميلاد طفلـه ابراهيم في آن واحد ، حين جاءني من يدعوني الى منزل عارف . وبلدتنا كما ترى ليست واسعة الارجاء ، فهرولت وبودي ان اعود كي لا تفوتني طيّبات السهرة التي كنت فيها . وكان عارف مسجّى على فراشه حين دخلت عليه ، تضطرم وجنتاه من الحمى وتلوح على جبينه قطرات كبيرة من العرق . ولما فتحت الباب تطلع إلي بعينين واسعتين وصاح :

— الزائدة يا دكتور شمس الدين ، الزائدة !

وخطر لي انها ثارت عليه حقاً ، كما خطرت لي زيارته اياي في هذا الصباح . لم يكن به اي عرض من اعراض التهاب الزائدة الدودية فما الذي جعله يفكر بها صباح ثورتها عليه ؟ وكان لا بد لي ان اطمئنه ، فقلت له وانا أجس نبضه :

— وماذا يخيفك من الزائدة يا عارف ؟ اذا كانت هي فان الجليد يشفيها والجليد كما ترى كثير . واذا لم يكن الجليد فان جراحتها أهون من شق خراج .

فحوّل وجهه عني وقال بصوت المستسلم في معركة خاسرة :

— لا تعللني بالاماني يا دكتور ، اشعر ان النهاية قريبـة .

فربتُّ على كتفه وقلت له :

— ما كنت اظنك كثير الخوف ، ما الذي يؤلمك الآن ؟

قال : كل بطني ، واشعر بلهيب الحمى يشوي ضلوعي .

وارتفع من ورائي صوت يقول :

— ليس غير البرد يا دكتور، ركض حصانه في هذا الزمهرير من قريتنا الى هنا دون توقف ، اكثر من ساعة وانا اطارده فلم ألحق به الا عتبة الباب .

وتطلعت ورائي فاذا بالمتكلم وحيد ، هذا الشاب الطويل العريض الذي اكره فيه قحته واعتداده بنفسه ، فسألته :

— وهل كنتما تتطاردان في هـــذا البرد ، والثلج يرصف الدرب بالمهالك ؟ فقال عارف :

— قل لي هي النهاية يا دكتور . لقد حذرتني من التزحلق على الثلج ففعلت أسوأ منه ..

فعجبت من تخوفه ، وانصرفت الى فحصه ، ولم البث ان قلت له :

— هدىء روعتك . أرى زائدتك اعقل مما تظن وما بك غير البرد .

فتطلع إليّ غير مصدق وهو يقول :

— هل تريد ان تمّوه عليّ ؟ هذا شيء لا بد من حدوثه . وعبثاً كنت احاول منه الهرب .

قلت له :

— لا أفهم ما تقول يا عارف . ولكن صدقني ان الزائدة الدودية ليست مسؤولة عمّا بك .

فقطع عليّ كلامي وقال :

— كم الساعة الآن ؟

فتطلعت الى ساعتي وقلت :

— سأحقنك الآن ما يخفف عنك هذه الحمى التي تشعر بها وآمل ان اراك في الصباح معافى . لا يزال من عمر هذا العام ساعتان وسبع دقائق على الضبط يا عارف .

قال :

— افعل ما تشاء يا دكتور . ساعتان وسبع دقائق ؟ إنه عمر يا ربي ! أتظن أن هناك مرضاً يقتل في ساعتين وسبع دقائق غير الزائدة ؟

فضحكت وانا اقول له :

— لا أظن مرضاً غير الزائدة المنفجرة في البطن يمكنه ان يفعل ذلك يا عارف ، وأنت غير مصاب بها . كن واثقاً من ذلك ونم بأمان .

فخيّل إليّ انه قال لي في همس :

— إذاً هي الزائدة !

وكاد الغيظ يتملكني في النهاية من هذه الفكرة الثابتة في رأسه . ولكن حرارته المرتفعة كانت تشفع له وتدعوني إلى التفكير بأنه كان يهذي . فحقنته بالدواء ثم ودعته وخرجت . وعند الباب التفتُّ الى وحيد ، ذلك الفتى الذي لا أحبه ، وكان قد خرج معي وسألته :

— وعلام كنتما تتسابقان في هذه الليلة المظلمة ؟

قال :

— على لا شيء . بل على شيء مضحك لا أستطيع ان ارويه لك . كنت أريد ان الحق به لأعينه في شأن جاء يسعى به إليّ . ولكنه اطلق العنان لفرسه لا يريد ان ادركه كأنما في إدراكي له قتله . كم خفت أن يعثر به الحصان فتدق عنقه . ولما لحقته امام باب منزله رأيته لا يتمالك نفسه فأعنته حتى ادخلته في فراشه . هل ترى في حالته شيئاً من الخطر يا دكتور ؟

فوضعت العقدة بين حاجبيّ ، كعادتي ، وقلت :

— سنمر عليه غداً .

ومررنا عليه غداً ، ولكنه كان قد أسلم الروح قبل ان نمرّ عليه !

لِمَ مات عارف ؟ الأصح أن نسأل لِمَ مات عارف ، لو ان لهذا السؤال جواباً . إنه لم يكن مصاباً بالزائدة ، فلعله مات بالخوف منها . ولذلك قلت لك ان عارفاً قد قتله مرض لم يصبه . قد ترى انت في الامر لغزاً ، او على الاقل خطأ في التشخيص . ولكني انا الذي ارى حوادث الحياة والموت في كل يوم قد شببت عن الطرق فلم اعد ألقي على نفسي امثال هذا السؤال . كل ما أعرفه وأنا واثق به ان صباح اليوم الاول لعام ١٩٤٦ قد طلع ولم يكن عارف حياً حين طلع ...

الرقة — سوريا — **عبد السلام العجيلي**


## اعلان مناقصة

إن مناقصة تلزيم المعدات الكهربائية المختلفة التي كان موعد إجرائها بتاريخ ٢٨-٤-١٩٥٣ قد الغيت وسيصار الى تلزيمها بتاريخ ١٧-٣-٩٥٣ يمكن لراغبي الاشتراك الاطلاع على دفاتر الشروط لدى رئيس مخازن الهندسة والمخابرات في ثكنة مصالح الجيش يومياً ضمن اوقات الدوام .

متعهد توزيع «الآداب» في البحرين

**المكتبة الوطنية**

لصاحبها

**ابراهيم محمد عبيد**